

# "ماركات"

قبل بضعة أيام، وأنا أتصفح تلفوني الذكي، وقعت أنظاري على أقصر وأبلغ رسالة وأشدّها في التاريخ:

"من أمير المؤمنين وخليفة رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، عمر بن الخطّاب إلى عمرو بن العاص فاتح مصر.

بلغني أنك تجلس في مجلس الحكم متّكئًا، فاجلس متواضعًا يا ابن العاص وإلا عزلتك، دع التأتّق في لبس الثياب وكُن لله لابسًا ثوب الخوف والندم، لو كان للمرء في أثوابه شرف، ما كان يخلع أجملهنّ في الحرم".

لا أحد ينكر السّعادة والشّعور المبهج والابتسامة التي تعلو وجهنا عند الخروج من غرفة تغيير الملابس ورؤية أنّ الملابس التي نقيسها جميلة وتناسبنا، إذ تؤثّر ملابسنا في حالتنا النفسيّة لا شعوريًا، وحتى في سلوكنا. فعندما نرتدي ملابسنا التي نحبّها ونرضى عنها فإننا نشعر أكثر بالثّقة بالنّفس، وقدرة على الخروج من المواقف المُحرّجة بسهولة وذكاء. توصّلت بعض الأبحاث أنّ الملابس تحمل بُعدًا لتحرر من التوتّر بما توقّره من مشاعر إيجابيّة وشعور بالسّعادة وترفع من معنوياتنا.

إنّ ما ذكر سابقًا من أنّ الملابس تزيد ثقتنا بأنفسنا وتسبب لنا السّعادة والرّاحة، يفسّر ظاهرة حبّنا الشّديد للملابس وولعنا بشراء المزيد والمزيد رغم عدم حاجتنا لهذه الملابس.

قبل عدّة أيام استجبت لطلب زوجتي، بعد إلحاح شديد، و "زنّ على الطلعة والنزلة"، استجبت لطلبها بالقيام بتخفيف حمولة خزانة ملابسني التي امتلأت بكميّات كبيرة من الملابس الصّيفيّة والشتويّة، التي اختلطت نتيجة تقلّب الطّقس عندنا، حيث أصبح الشّتاء صيفًا وبالعكس. عندما قُمت بإخراج الملابس من الخزانة ووضعتها على السرير، لم أتخيّل الكميّة الجاثمة أمامي. كميّة من الملابس التي لم أعرف حتى بوجودها. بعض هذه الملابس ما زالت تحمل لاصقات الشركات ونمرها، يعني أنّها لم تُلبس أبدًا. نظرت إلى الملابس بمشاعر مختلطة. شعور بالرّاحة من جهة أنني سأتخلّص ممّا لا أحتاجه منها وبذلك أخلي مكانًا لملابس جديدة قد أشتريتها. ناهيك عن تخلّصي من "زنّ" زوجتي التي قرّرت عدم التنازل لي هذه المرّة، وشعور بالحزن على "فراق" هذه الملابس التي تحمل بعضها ذكريات جميلة وعبق زمنٍ مضى.

خلال عملية تصنيف الملابس، لاحظت ماركات هذه الثّياب وتذكّرت أنني قد دفعت مبالغ باهظة لشرائها في حينه، وها أنا أتنازل عنها بهذه السّهولة لمجرّد أنّ زوجتي طلبت ذلك، من جهة أخرى قلت لنفسي أنني لا ألبسها ولن ألبسها ممّا رجّح كفة التخلّي عنها. من الجدير بالذّكر أنّ زوجتي، عندما رأّت الملابس التي أنوي التخلّي عنها ورأّت جودتها العالية، قالت بأسى: "مش حرام ترعي هذه الملابس!!".

السؤال المهم هنا: ماذا يجعلنا نجري وراء الماركات الغالية، هل لأننا نرغب بأن نزيد ثقتنا بأنفسنا كما قالت الدّراسات؟! هل الملابس تعزّز من شخصيّاتنا؟! هل تزيد من نظرات الإعجاب ممّن حولنا؟! إذا كان الأمر كذلك فلماذا كلّما تقدّم بنا السنّ، نلاحظ

أنا لا نبذل ثيابنا لعدة أيام؟ هل يعود ذلك لأننا فقدنا اللهفة والشغف؟ هل اللهفة والشغف تقل مع تقدّم العمر؟! لماذا تحرص النساء على تغيير ملابسهنّ يوميًا بعكس الرجال؟! قد يعود الأمر إلى الغيرة والتنافس بين النساء، وحتى لا يُقال أنّها لا تبدل ثيابها أبدًا؟!!

هل تذكرون عندما كنّا في الماضي نستعير الثياب من بعضنا البعض؟! "أعطيني جاكيتك ألبسه يومين"، أو عندما كنّا نورث الثياب لأخوتنا وأخواتنا؟! هل ينغّر الناس بالملابس الجديدة الجميلة؟! هل يتم التّعامل معنا حسب مظهرنا وجودة ملابسنا؟!!

الجواب هو: نعم حسب اعتقادي.

اعتدت في الماضي البعيد أن ألبس الملابس الرّسميّة التي تتضمن رباطة العنق والبدلة. كنت أشعر بنظرات الإعجاب والرّهبة من قبل الناس، حتّى أنني كنت أقصد القيام بذلك عند زيارتي للمؤسّسات الرّسميّة والحكوميّة مثل التّأمين الوطني ووزارة الدّاخلية والبنوك. وقد لاقيت احترامًا شديدًا، ورغبة في المساعدة من قبل الموظّفين الذين افترضوا أنني شخص مهم بسبب ملابسني الثّمينة، ولم يعرفوا أنني تعمّدت ذلك رغم أنني لا أملك في جيبي إلّا بعض النّقود التي تسدّ بصعوبة أجره الباص. لقد تغيّرنا وتغيّرت عاداتنا، أصبحنا لا نلبس إلّا الماركات الغالية، حتى ولو كانت مزيفة. أصبحنا نساfer إلى خارج البلاد لتتسوّق، آسف لنعمل "شوبينج".

ثيابنا لا تصنعنا، ثيابنا تضيء علينا رونقًا وجمالًا، تمنحنا شعورًا جميلًا وراحة، اجعلوا ثيابكم مظهرًا حضاريًا وراقيًا ولا تختالوا بها أمام الفقراء والمعوزين، تبرعوا بملابسكم التي لا تحتاجونها شرط ألا تكون بالية حتى لا تزيد الطين بلة على من يأخذها، وإلا تتحوّل إلى مصدر ذلّ واستحقار له.

دعوني اقتبس قول جبران خليل جبران: "لا تجعل ثيابك أغلى شيءٍ فيك، حتى لا تجد نفسك يومًا أرخص ممّا ترتدي".

وهل يصح أن نختم كلامنا بدون طرفة:

اشترى أحد الأغنياء حلةً جديدة وطلب من إحدى زوجاته الأربع أن تقوم بكيّ الحلة ليلبسها، فقامت زوجته بحرقها بالخطأ. فغضب غضبًا شديدًا ورمى عليها يمين الطلاق. فاعترضت زوجته الثانية وأتهمته بالظلم والقسوة. فما كان منه إلا أن طلقها أيضًا. فقفزت الثالثة مُحْتَجّة واتهمته بالأنانيّة والتعسّف، فما كان منه إلا أن قال لها أنت طالق!

وهنا قالت له الرابعة: هل ضاق صدرك عن أن تأدب نساءك إلا بالطلاق !!

فقال لها : وأنت طالق أيضًا ..

وكان ذلك بمسمع من جارة له التي بادرت به بقولها: والله ما شهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف إلا لها وجدوه منكم، لو أقدمت على طلاق زوجاتك في ساعة واحدة.

فقال وأنت أيضا ايتها المؤنّبة المتكلّفة طالق .. إن سمح زوجك بذلك .. !!

فأجابه زوجها من داخل بيته : قد سمحت .. !!

دمتم بجمال ورونق

أ.أيمن جبارة